المنهج الإسلامي في الرعاية الاجتماعية

الأستاذة: ليلى بتقة، جامعة بالمسيلة، الجزائر

الملخص:

لقد عني الإسلام بالإنسان كمخلوق ميزه الله تعالى دون سائر الكائنات وحباه بمنه وفضله وأولاه رعايته وتكريمه قبل أن يولد وحتى الممات حتى عرف الدين الإسلامي بدين الرعاية الاجتماعية فقد جاء لخدمة الإنسان واستدامة نوعه بصلاحه والصلاح المنوّه به ما أراد الله به مجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل فحسب بل أراد منه أيضا صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية من خلال مجموع الخدمات الاجتماعية التي تستهدف العقل والروح والنفس والموجهة للفرد والجماعة والمجتمع. فهذا المقال يوضح معالم المنهج الإسلامي في الرعاية الاجتماعية وفلسفته التي تميزه وتجعله فريدا عن غيره من المناهج والأنظمة الوضعية بالاضافة إلى خصائص المنهج الإسلامي التي جعلت منه بحق دين الرعاية الاجتماعية.

Abstract:

Islam has taken care of humans, Allah has honoured the sons of Adam; and conferred on them special favours, above a great part of his Creation. Therefore Islam knew as the religion of social welfare, came to service Human and the sustainability of his kind. Allah wanted for human to continue their life with purity of faith and Work earnestly, a life that is good and pure through total social services that target the mind and soul, and directed to the individual and the community and society. This article explains features of the Islamic approach in social welfare, and the philosophy of this approach that makes it unique and distinguish from other approaches and Legal positivism. In addition to viewing the properties of the Islamic approach that made Islam the religion of social welfare.

مقدّمة:

إن الإسلام كمنهج له فلسفته وتصوره الخاص الذي ينفرد به عن باقي المناهج والأنظمة الوضعية وفي ضوء هذا التصور النابع من المصادر الأصلية للمنهج الإسلامي تتحدد معالم الممارسة المهنية بين طبيعة التصور ألاعتقادي وطبيعة الممارسة المهنية للرعاية الاجتماعية تلازما لا ينفصل ولا يتعلق بملابسات العصر والبيئة وإنما هو أبعد من ذلك فالرعاية الاجتماعية هي جزء من التفسير الشامل لهذا الكون ولمركز الإنسان ووظيفته فيه حيث أن الإسلام ليس صيغة عبادات فحسب بل هو منهج حياة لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وتدخل فيها بالتوجيه إذ قال الله تعالى في محكم تنزيله :(**ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** [1].

كما عني الإسلام بالإنسان كمخلوق ميزه الله تعالى دون سائر الكائنات وحباه بمنه وفضله وأولاه رعايته وتكريمه قبل أن يولد وحتى الممات(**ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا**) [2] حتى عرف الدين الإسلامي بدين الرعاية الاجتماعية فقد جاء لخدمة الإنسان واستدامة نوعه بصلاحه والصلاح المنوّه به ما أراد الله به مجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل فحسب بل أراد منه أيضا صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية من خلال مجموع الخدمات الاجتماعية التي تستهدف العقل والروح والنفس والموجهة للفرد والجماعة والمجتمع فالإسلام جاء لجلب المصالح ودرء المفاسد ولما فيه صلاح البشر في العاجل والأجل وهذا يحصل بإصلاح حال الفرد لأن في صلاح حاله صلاح لحال المجتمع والعالم بأسره.

وبالتالي السؤال المطروح والذي نحاول الإجابة عليه من خلال هذا المقال هو ماهي معالم الرعاية الاجتماعية وفلسفتها في المنهج الإسلامي؟.

1.معالم الرعاية الاجتماعية في المنهج الاسلامي:

الإسلام باعتباره يدعو إلى الخلقية الإنسانية ويؤصل تعاليمه من أوامر ونواهي على الضمير الإنساني وحده يجعل الرعاية الاجتماعية ضربا من ضروب العبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه وإذ يجعلها عبادة يجعل أداءها واجبا بإلزام الفرد نفسه بالإيمان بالله وبالوحي ككل وليس بإكراه شخص أو سلطة معينة.

وإذ يجعل العبادة قربى إلى الله يضمنها الحافز النفسي على الأداء وهو حافز الرغبة والأمل حافز الحصول على رضاء الله وهو أمر لا يعدله في نفس المؤمن دنياه التي يعيش فيها ويحصل متعها[3] .

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغآء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير) [4].

كما نجد أنّ هذه الرعاية التي تقدم للأفراد تقوم على أساس احترام كرامة الفرد وإنسانيته فنرى أنّ تكريم الإسلام للإنسان قد وضع في إطار غاية كبرى هي بناء المجتمع وإذا كان الإسلام قد ركز على بناء الفرد فإنما استهدف من ذلك بناء مجتمع متكامل قوامه لبنات قوية تمثل كل منها فردا مؤمنا .

ولقد رسم القرآن للفرد المسلم المؤمن صورة الإنسان الممتاز بتربيته وتكوينه على طاعة الله ورسوله والصلاة والصوم والزكاة وفي منطلق الأمانة ورعاية العهد وقوة الخلق وسلامة التفكير ولقد انفرد الإسلام بأنه رعى الفرد وكرمه في إطار المجموعة فيما ركز على ضمير الفرد المسلم وحمله منفردا مسؤولية عمله(**ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنّما تنذر الذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير**) [5] وقوله تعالى:(**والذين ءامنوا واتبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم ومآ ألتناهم من عملهم من شيء كلّ امرئ بما كسب رهين**) [6] ثم وضع ذلك النموذج في إطار المجتمع (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم**

أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم) [7] ولم يذهب الإسلام في الرعاية مذهب من أعطوا الفرد الاهتمام بلا حدود كما أنه لم يذهب مذهب من أفنوا صورة الفرد في المجتمع ولما كان أفراد المجتمع هم نتاجه في نفس الوقت وكلهم يجمعهم دين الله فإن وحدة الهدف أمر يأتي بلا اجتهادات داخلية في المجتمع ويتم الترابط بين المؤمنين وينصرفون إلى أعمالهم تلقائيا بتصرف رجل واحد (**إنّما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غفور رحيم**)[8].

ويصور العامري هذا المفهوم فيقول :يعطي الإسلام أهمية كبرى للإنسان كفرد في مجتمع ويؤكد حاجته إلى التقدم المستمر وبذلك يحرر طاقاته الخلاقة كلها (فكرية، عقلية وعملية) لتنطلق في خدمة تقدمه كإنسان وفي خدمة المجتمع ككل دون السماح لعائق ما أن يقف في وجهها،لا ريب أن معظم معطيات الإنسان سواء كان سويا أو من ذوي الاحتياجات الخاصة وتكريمه وإعزازه ثم وضعه في مكانه الذي يجعله قوة قادرة على البناء والتعمير ومن أجل ذلك جعل المجتمع الإسلامي بمثابة عقد مشاركة وتضامن بين أفراده وقد حث على رعايتهم جميعا وبذلك عارض نظريات الجنس الممتاز وقتل المرضى والضعفاء ولعل أروع صورة لوصف علاقة المجتمع بالفرد والفرد بالمجتمع تلك الصورة التي رسمها النبي:جماعة ركبوا سفينة في عرض البحر ثم عمد واحد من أهل الطابق الأدنى إلى خرقها لإدخال الماء فإن تركوه يعبث بالسفينة غرقوا وإن وقفوا في وجهه أنقذوا السفينة ونجو جميعا [9].

فالمنهج الإسلامي منهج شامل متكامل فهو لا يدع ناحية من النواحي إلا ودخل فيها بالتوجيه والتشريع فهو رسالة شاملة للفرد وللأسرة وللمجتمع والأمة

ومن دلائل هذا التكامل هذه الشعب التي تنقسم إليها تعاليم الإسلام ويفهم في ضوئها:

أولا:شعبة تتجه إلى النفس:

فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح لمبدأ التفكير الانساني ذلك أن الفكر هو أساس التقدم الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات وأداة التغيير والتطور في أي مجتمع وحركيته فتغيير وإصلاح الفكر الانساني هو المنطلق لتغير السلوك الانساني وفي هذا نجد مالك بن نبي "يرى أن عالم الافكار هو المتحكم في حركة المجتمع والدافع لنهضته وتطوره بالإضافة إلى دعوة المنهج الإسلامي إلى إصلاح نفس الإنسان بتزكيتها وتهذيبها ومن وراء هذا المقصد (إصلاح الاعتقاد والنفس) يهدف المنهج الإسلامي إلى تعزيز دور الإنسان الريادي واستحقاقه للخلافة في الأرض وإعمارها بما يخدمه ويخدم غيره .

وإصلاح النفس يكون بالإيمان والتزكية وهذا هو "البعد الإيماني" فأساس الحياة هو الإيمان ولن نستطيع أن نصلح مجتمعاتنا إلا إذا أصلحنا الأنفس فصلاح وتقدم المجتمعات بصلاح أفرادها وصلاح الأفراد أنفسها ولا يمكن أن يصلح الناس بغير هذا الأمر (...**إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم** ...) [(10)] سنة من سنن الله في المجتمع والحياة .

فكيف نغير ما بالأنفس؟

نغير ما بالأنفس-وفقا للمنهج الإسلامي- عن طريق العقيدة بأن نصب في عروق الفرد بصفته إنسان الإيمان الصحيح والتوحيد الصحيح بحيث لا يرضى بغير الله رباّ ولا يتخذ غير الله وليّا ولا يبتغي غير الله حكما.

هذا التوحيد الذي يسقط الأرباب الزائفة كلها من البشر أو من الحجر فلا يعفر الفرد جبهته إلا لله تعالى ساجدا ولا يحني ظهره إلا لله تعالى راكعا ولا يرجو إلا الله ولا يخاف إلا الله هذا هو الذي يصنع الإنسان البطل المنتج في السلم المنتصر في الحرب الصالح في نفسه النافع لغيره الواثق بنفسه المؤمن بربه الناصر

للحق المحب للخير الذي يبذل لأمته وإن لم تكافئه ويخدم مجتمعه وإن تنكر له هذا الفرد الذي يبحث عنه الوطن وتحرص عليه الأمم إنما يصوغه ويصهره عندنا مصنع الأبطال وهو العقيدة, إنما يصنعه الإيمان ولا شيء دون الإيمان "أعطني إيمانا أعطيك أبطالا" [11].

فالفرد المؤمن بإيمانه تجده في كل الأحوال مطمئن البال راضي الحال فإن أصابه خير حمد الله وشكره وإن أصابه شر عرف أن ذلك من عند الله وبأمره وبذلك فهو مع الخير والشر يخطو خطواته التالية مستندا إلى ذات القوة التي حققت له السكينة والطمأنينة ومتوكلا على القدرة الحقيقية التي تملك ناصية الأمر وهي قدرة الله سبحانه وتعالى بمعنى أنّه يعلم أنه لا يتم شيء في هذا الكون إلا ما قدره الله وأن قدر الله هو الذي ينفذ في الحقيقة والقضية في حس المسلم المؤمن لا تنتهي عند تلك النقطة وإنما تتعداها إلى ما هو أبعد في رد فعل مرارة العجز عن النفس أنه ما دام قد توكل عل الله مع اتخاذ الأسباب يحس أن قدر الله في أي حالاته هو الخير بالنسبة له فيصبر على ما أصابه من مكروه مطمئنا إلى قدر الله فعن أبي يحي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن:إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)رواه مسلم [12].

وترتيبا على ذلك يقبل المسلم المؤمن بالله على كل أنشطته وهو يقول:- كما علمه الله-(**قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)** [13].وفي الإيمان بمحتوى هذه الآية الكريمة العامل الأساسي للطمأنينة التي يشعر بها المسلم دون غيره في جميع الأحوال .

إذ المؤمن بربه يصبر على ما يصيبه في هذه الدنيا وهو يرجو حسن ثواب الاخرة موقنا بأن ما عند الله خير وأبقى سواء فيما يجده أو يضيع منه خلال عمره المحدود على هذه الأرض ويضل دائما مطمئنا إلى قدر الله يسعى وفي قلبه السكينة لا الفرح بنعمة الله يطغيه ولا الحسرة على ما فقد يتلف نفسه أو يصيبه بالخبل

والاضطراب ومن هنا يملك الدواء الناجع أي الإيمان الكامل المستقر في القلب والوجدان يعيد إلى ذاته تكيفها الاجتماعي بالصورة الإسلامية دون ما حاجة إلى خمر ولا مخدر ولا دافع إلى جريمة ولا جنون ولا انتحار ...الخ وذلك هو قمة التكيف الاجتماعي الايجابي بالمعنى الإسلامي [14] .

ثانيا: شعبة تتجه إلى المجتمع:

وهي التي تتوجه إلى المجتمع لتقيم فيه العدالة والتكافل بين الناس بعضهم وبعض وهذا هو "البعد الاجتماعي" فالإسلام دين اجتماعي ولا يتصور الإنسان فردا في فلاة يعيش وحده فهو مدني بطبعه كما قال الأقدمون أو هو حيوان اجتماعي كما يقول المحدثون .جاء الإسلام دينا وسطا لأمة وسط يعنى بحاجات الفرد ويوازن بين النظرة الفردية والنظرة الاجتماعية فلا يضخم الفرد على حساب المجتمع كما لا يضخم المجتمع على حساب الفرد بل يعطي كلا منهما حقه ويطالبه بواجبه بلا طغيان ولا إخسار(**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**) [15] .

جاء الإسلام بهذا المعنى الاجتماعي فاهتم بالمجتمع وبمشكلاته ومن حيث يقرر الإسلام التوازن بين الفرد والجماعة فهو يقيم التكافل الاجتماعي على أساس الأخوة والعدل الاجتماعي وهو طراز من الرعاية الاجتماعية المثلى حيث يقوم مفهوم المجتمع في الإسلام على أمرين:

أولا:التعادل بين ثنائية الفرد نفسه وبين الفرد والفرد من ناحية أخرى.

ثانيا:التوازن بين الفرد والمجتمع.

ويقرر الإسلام أن تنسيق الفرد والجماعة يتم عندما يتحقق عاملان مهمان:

أولهما:أن تكون البيئة مثمرة بكل الحوافز المادية.

ثانيهما:أن يسود الإيثار نوازع الأفراد في مجتمع ينشد الحياة الكريمة.

ونظرة الإسلام تتمثل في أن هناك تفاعلا دائما بين الفرد والمجتمع يأخذ ويعطي حيث يكون دور المجتمع واضحا مرة ودور الفرد بارزا مرة أخرى ويصور الباحثون المسلمون المجتمع الإسلامي على أنه عقد مشاركة وتضامن بين جميع أفراده وقد حث الإسلام على رعايتهم جميعا وبذلك عارض نظريات الجنس الممتاز [16].

ونجد من صور الرعاية الاجتماعية الإسلامية التعاون حيث يقول المولى عز وجل :(... **وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب**)[17].

فالعلاقة بين العبد وربه لا ينبغي أن تبقى عقيدة مستترة في ضمير الفرد وإنما ينبغي أن تكون لها مظاهر عملية يعرف بها المسلم من غيره ذلك أن العقيدة الإسلامية والتوجيهات النبوية تبني المجتمع الإسلامي على البر والتقوى ولذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم اهتم بعلاقة المسلم بأخيه في الإنسانية مهما كان حاله ونهى عن ظلمه وتحقيره ...الخ فعن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضواولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم:(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه)وعن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك قوله :(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه عن مسلم كربة من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[18] .

فهذه الأحاديث تحث المسلم فردا كان أو مجموعة على خدمة الفرد ورعايته من باب العبادة يتقربون بها إلى المولى عز وجل وبهذه التوجيهات النبوية يكون الفرد قد حضي برعاية اجتماعية قائمة على الحب تهتم بالجانب المادي والمعنوي معا والإسلام بما افترض من زكاة فإنما لكي يكون هناك تعاون وتكافل اجتماعي بين أبناء الأمة الإسلامية.

ونرى التوجيه التعاوني السديد للمسلم في كل معاملاته هو الأرض الخصبة الصالحة لنمو العواطف الإنسانية التي تؤدي إلى الترابط بين القلوب على أسس من المحبة والأخوة لا سيما وأن النبي صلى الله عليه وسلم شبه الأمة الإسلامية بالجسد الواحد حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وفي رواية أخرى قول النبي صلى الله عليه وسلم:(المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله) [19]وهذا التشبيه يقصد به أن يكون المجتمع في خدمة أبنائه والعمل على رعايتهم وأن يكون التألم إيجابيا (تعاونيا)وليس (لفظيا)وتتأتى الإيجابية بعمل الآخرين قدر جهدهم على تخفيف آلام الناس بمشاركتهم أتراحهم قبل أفراحهم ومساعدتهم على الاندماج الاجتماعي وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله :(من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة)والتيسير هنا هو أرقى صور التعاون وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :(إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله سبحانه وتعالى لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام)وهذا الحديث الشريف يبين منزلة الإنسان العطوف الودود المساعد الذي يمد يده بالإحسان ويحرك لسانه بحلو الكلام والذي يصلي والناس نيام فعلاقة المسلم بربه تفرض عليه أن يكون متعاونا بصورة إيجابية مع بقية الناس في المجتمع[20] .

2.فلسفة الرعاية الاجتماعية في المنهج الاسلامي :

من خلال ماتقدم نلاحظ أن فلسفة رعاية الفرد في المنهج الإسلامي وخدمته تقوم على مجموعة من النقاط:

أ.أن الفرد يتساوى مع غيره في الحقوق والواجبات لأن ميزان التفاضل والتعامل في المنهج الإسلامي هو التقوى لا غير .

ب.الثقة في إمكانات وقدرة الفرد على التغيير الذي ينطلق من الذات ليصل للآخرين فالمنهج الإسلامي لا ينظر للفرد على أنه عاجز ومجرد مستهلك يتلقى المساعدة دون أن يشارك ويساهم في خدمة نفسه فعندما نقوم برعاية الفرد وفقا للمنهج الإسلامي لا ننظر للفرد على أنه عاجز ينتظر منا أن نشرف على حياته فنقرر نحن ما يصلح له وما لا يصلح فنجعله خارج دائرة الظرف أو الموقف أو المشكلة ونجعل منه مشاهدا وكأنه غير معني بهذا الأمر فنفصم بينه وبين ذاته.

وبهذا نعطل ما لديه من قدرات ليساعد نفسه ونورثه صفة الاتكالية والاعتماد على الغير فبدلا من جعله فردا منتجا قادرا على مساعدة نفسه وعلى التفكير الايجابي الذي يجعل منه فاعلا متحكما في واقعه مسيرا له نجعله عاجزا مستهلكا متكلا معتمدا على غيره بل الاسوء من ذلك نشعره بالعجز وننقل إليه الإحساس بأنه لا يستطيع تغيير حاله إلا بوجود الآخرين- هناك فرق بين لا تغيير إلا بوجود الآخرين وبين التغيير مع الآخرين فالأولى تحمل معنى الاتكالية والعجز والثانية تحمل معنى التعاون والتكافل وشتان بين المعنيين –فالفرد قادر وقدرات الأفراد تختلف من شخص لآخر لوجود المبدأ الثاني وهو الفروق الفردية والمنهج الإسلامي لم يهمل هذا الجانب فلم يكلف كل الأفراد بنفس التكاليف فتعامله مع الفرد الصحيح يختلف عن تعامله مع المعتل وتعامله مع المسافر يختلف عن تعامله مع المقيم وتعامله مع الفرد في حالة السلم يختلف عن تعامله مع الفرد في حالة الحرب وتعامله مع الطفل أو الشاب يختلف عن المسن وكل ميسر لما خلق له وكل يكلف حسب قدرته وطاقته.

كما نجد هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أتباعه في إدارة شؤونهم وفي علاج مشاكلهم يؤكد هذا الأمر فلم يعطي لهم حلولا جاهزة –وله القدرة على ذلك-بل لعب دور المشرف والموجه الذي يأخذ بيد المحتاج لمساعدته بشكل إيجابي يجعل القرار وتحديد المصير بيده فيقرر لنفسه ما يصلحها وما يخرجها من دائرة العوز والاحتياج وقصته مع الاعرابي الذي طلب منه أن يساعده ليتجاوز فقره وكان جل ما يطمع فيه مساعدة مالية لكن النبي صلى الله عليه وسلم بهديه أرشده إلى إلى حل يحافظ به على تكامل شخصيته ويشعره بالعزة فلا يمدن يده ليتسول فيريق ماء وجهه ولا يتكل على غيره في كل مرة فيعطل طاقاته ويظل في دائرة الاستهلاك بدلا من أن يكون فردا منتجا بل قد يكون سببا في عون غيره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبيع ما يجده في بيته وليشتري به فأسا ويعود إليه فلما عاد إليه قال له اذهب إلى الغابة واحتطب والأمثلة كثيرة في هذا المقام.

ج.إقرار مسؤولية المجتمع على مساعدة ورعاية الفرد فهذا من حقوق الفرد على مجتمعه .

وفي النقطتين السابقتين- الاهتمام بقدرة الفرد أي إحساس الفرد بفرديته والنقطة الأخرى مسؤولية المجتمع على مساعدة ورعاية الفرد أي إحساس الفرد بالميل إلى الاجتماع بالآخرين والحياة معهم كواحد منهم وواجبهم في في رعايته ومساعدته – نجد أن المنهج الإسلامي قد وافق بين النزعتين الفردية والجماعية ووازن بين ثنائية الفرد والمجتمع وفي هذا يقول الأستاذ محمد قطب:"والإسلام يوفق بقدر ما في طاقة البشر بين النزعتين الأصيلتين المتناقضتين في الظاهر إنه بادئ ذي بدء لا يعتبر إحداهما أصيلة وغيرها دخيل ولا يعتبر أن تغذية إحداهما تعني بالضرورة الإساءة إلى الأخرى أو إسقاطها من الحساب والإسلام دين الفطرة وهذه فطرة الإنسان :فرد داخل في المجتمع، أصيل الفردية، أصيل في الميل للمجموع وهو دائم التقلب بين نزعتيه المتناقضتين كما يتقلب في نومه من جنب إلى جنب ليستريح لكنه في كل لحظة شامل لجنبيه معا على اختلاف في النسبة والمقدار والإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معا ويجعلهما متساندتين بدلا من أن تكون

متنازعتين لأنه يحتاج إليهما معا لأن الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى"[21]

.

د.وتأتي النقطة الرابعة في فلسفة الرعاية الاجتماعية في المنهج الاسلامي كدعم وتأكيد على شمولية وتكامل المنهج الإسلامي والمتمثلة في اعتماد المنهج الإسلامي على الأسلوب التكاملي البناء في الرعاية الذي يتناول الإنسان كوحدة متكاملة جامعة لكل جوانبه العقلية والنفسية والاجتماعية والروحية فلم يقع المنهج الإسلامي في فخ التجزئة والنظر إلى الإنسان من جانب واحد وإهمال بقية الجوانب.

هـ. ومن أهم وأبرز عناصر قوة وتميز المنهج الإسلامي في تقديم الرعاية الاجتماعية نجد :

❖ **خصائص المنهج الإسلامي:**

أي أن قوة وتفرد المنهج الإسلامي تكمن فيه بما يتمتع به من خصائص تجعل من الرعاية الاجتماعية رعاية شاملة وذات أثر واضح وملموس (ناجعة) هذه الخصائص تتمثل في:

➢ **الربانية:**

ونعني بها ربانية المصدر والغاية .

➢ **الشمولية:**

والمراد بهذه الخاصية هو شمول المنهج الإسلامي لكل ما يحتاجه الناس على الإطلاق

➢ **الواقعية:**

تبرز واقعية المنهج الإسلامي في تعامله بواقعية مع طبيعة الإنسان فلم يلغ بشريته ليرتقي به ويرفعه إلى درجة الملائكة ولم ينظر له على أنه جسد له احتياجات مادية فقط لهذا حتى تكون المبادئ والقوانين التي جاء بها تحاكي فطرة الإنسان

وتنأى بنفسها عن المغالاة والتطرف وبالتالي تبتعد عن مجانبة واقع الناس لم يغفل المنهج الإسلامي عن تقديم تصور سليم وواضح للطبيعة البشرية ذلك أنّ كل عمل وكل مساعدة الغرض منها خدمة الإنسان إن لم تقم على تصور واضح لهذا الأخير فلن تؤتي الثمار المرجوة منها وبالتالي توافق الخدمات الاجتماعية المقدمة للإنسان مع ما يحتاجه فعلا لن يكون إلاّ بمعرفة حقيقة ما يحتاجه الإنسان فعلا وما هي مكوناته وما يؤثر فيه فمثلا عندما أهمل الغرب الجانب الروحي في تعاملهم مع مشكلات الإنسان وأرجعوا جل هذه المشكلات للعنصر المادي لم يصلوا إلى حل جذري لهذه المشكلات بل كانت حلول عابرة ومؤقتة كالمسكنات التي تعطى للمريض فهي لا تقضي على مرضه ولكنها تخفف من ألمه.

فمن خلال ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن خلال تفحص سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته وما جاء به نصل إلى بلورة التصور الإسلامي للطبيعة البشرية والذي يختلف عن غيره بطبيعة الحال لأن الاختلاف حول مفهوم الإنسان يؤدي بطبيعة الحال إلى الاختلاف في التصور والنظرة وفي التعامل فمثلا في أوربا التي عرفت بأنها جاءت لتحرر عقل وجسم الإنسان ومجتمعه من التخلف والانحطاط فقد ساهمت في إعطاء نظرة فلسفية بعيدة كل البعد عن حقيقة مفهوم الإنسان عندما وصفته بأنه كائن تافه تحكمه الغرائز والشهوات فنجد عند علماء النفس الفسيولوجي يرون الإنسان بأنه مجموعة من الوظائف الفسيولوجية ويرون سلوكه مجموعة من العمليات الفيزيائية والكيميائية وأصحاب التحليل النفسي والذي يمثلهم" فرويد" يرون الإنسان مجموعة من الغرائز المكبوتة ويرون سلوكه نتيجة للاشباعات السوية والشاذة لتلك الرغبات .

أما السلوكيون وعلى رأسهم "جون واطسون" يرون الإنسان آلة حية وما سلوكه إلا مجموعة من الاستجابات الآلية لمجموعة من المثيرات وفي هذا نجد "سكينر" كأحد السلوكيين يرى أنّ الإنسان وحدة تتلخص في جانب بيولوجي فهو فرد لا يؤثر في

الكون بل الكون هو الذي يؤثر فيه والدين والأخلاق ليست سوى استجابات شرطية يتعلمها الناس بالتعزيز والثواب والعقاب .

وهناك الكثير من النظريات التي تناولت الإنسان وحاولت فهمه لكن من جانب واحد فهؤلاء العلماء سقطوا في فخ التجزئة حين قسموا الإنسان إلى أجزاء وبنوا علمهم ونظرياتهم على معطيات جزء واحد دون غيره من الأجزاء مما أعطى في النهاية نظرة قاصرة ومجحفة في حق الإنسان إلاّ أنه حتى ولو تجمعت كل معطيات هذه الأجزاء معا سيبقى المشكل قائم لأنها اقتصرت على دراسة الجانب المادي وأهملت الجانب الروحي في الإنسان. كما أنها اشتغلت بالمحسوسات ولم تؤمن بالغيبيات فهي إما تعطي تصورا ومفهوما للإنسان يقترب من المفهوم الحيواني الذي تشكل الغريزة جوهره أو مفهوم جديد علمي يرى كل ما هو غيب موضوع فلسفي لا علاقة له بالعلم .

وبالمقابل نجد تصور الإسلام للإنسان كما سبق ذكره تصور شامل لكل جوانبه فهو لا يحلق في أجواء المثالية المجنحة ولا يعامل الناس على أنّهم ملائكة أولو أجنحة بل بشر يصيبون ويخطئون ويستقيمون وينحرفون وهو يعترف بضعف البشر –وباعترافه بوجود نقاط ضعف في الإنسان يعتبر هذا الضعف حالة طبيعية فطرية ناتجة من تكوينه البشري والذي لايفقده قدرته على الحركة بحرية واختيار – ووجود الخطأ والشر ويقول:"ساعة وساعة" ولهذا رغب ورهب وشرع العقوبات وفتح باب التوبة ووضع للضرورات أحكامها وقدر لأصحاب الأعذار أعذارهم فشرع الرخص والتخفيفات والاستثناءات في أحوال شتى منها الخطأ والنسيان والإكراه وأجاز النزول إلى الواقع الأدنى عند تعذر المثل الأعلى ومن واقعيته انه يكرم الإنسان ويسمو به ويعترف بفطرته وكرامته لا يهبط به إلى درك الحيوان ولا يعلو به إلى درجة التأليه يعترف بأشواقه الصاعدة وغرائزه الهابطة يعترف به روحا وجسما وعقلا وعاطفة ذكرا وأنثى وفردا ومجتمعا ويهيئ له فرصا للهو المباح والترفيه البرئ كما يهيئ له المناخ الايجابي ليحيا بلا ضغط وتنازلات[22].

والإسلام عندما اعترف وأقر بضعف الإنسان وتحدث عن نوازع الضعف لديه (**يريد الله أن يخفّف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**)[23] وقوله تعالى:(**الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**)[24] لم يطلب منه إلغاءها بل علمه كيف يتعامل معها كوجه من أوجه الرعاية له كما أقرّ أنّ الانسان من طبعه الخطأ ففتح له باب التوبة وحببها إليه ودعاه إلى ترك القنوط واليأس من رحمة الله التي وسعت كل شئ كما أنه لم ينس نوازع القوة التي يملكها الإنسان والتي تثيرها طبيعته كونه كائن عاقل مميز مكرم على سائر الكائنات فقد خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه وهذا مصداقا لقوله تعالى:(**إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشرا من طين؛فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**)[25].

فما هو ملاحظ أن القرآن لم يهتم بشيء اهتمامه بالإنسان فقد تحدث عن خلق الأب الأول آدم عليه السلام" وما أحيط به من وقائع هي من متعلقات الغيب كما أنه تعرض لحياة الإنسان –عموما-منذ نشوئه نطفة إلى أن يصبح خلقا آخر في أحسن تقويم وإذا تتبعنا بعض المقامات التي كان محور الحديث فيها الإنسان أمكن أن نلاحظ أنها وإن تنوعت سياقاتها واختلفت كيفية عرضها فهي تمكننا من استنباط جملة من الصفات التي يمكن أن نقول في حقها إنها تلك التي اهتم بها علم النفس واعتنى بها التحليل النفسي فالإنسان حسب الوجهة الإسلامية هو الكائن البشري الذي حوى في تركيبه من المقومات ما يجعل روابطه بالمادة وما يترتب عنها قوية ومن المؤهلات ما يجعله يتجاوز حدود المادة إلى غيرها من السمو والرفعة بل إلى جعل المادة نفسها منطلقا إلى السمو ومدعاة لإنعاش الروح كما أنّ المادة في حاجة إلى روح وأنّ الروح في حاجة إلى مادة أي أنّهما في حاجة إلى الانسجام وإلى تعاون متلائم بين معطيات كل منهما وأنّ سلامة الإنسان تقاس بحسب ما يتوفر من توازن بين مقتضيات الجانبين لدى الفرد [26].

- **الانسانية:**

المنهج الإسلامي يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته وتشريعاته وتوجيهاته إنه دين الإنسان وهذا ما نجده في القرآن الكريم فهو إما حديث عن الإنسان أو حديث موجه إليه.

- **الاعتدال والتوازن:**

فهو يدعوا إلى التوازن بين المادية والروحية أي بين الدين والدنيا إذ قال الله تعالى في محكم تنزيله:

(وابتغ فيما ءاتاك الله الدّار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدّنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحبّ المفسدين) [27]

فهو يراعي في خدمته للإنسان متطلبات الروح والنفس وكذا متطلبات الجسد من خدمات مادية وكمثال على هذا التوازن بين الجانبين المادي والمعنوي في الرعاية الاجتماعية نجد الله حرّم الانتقاص من قدر الإنسان أو ممّا قد يمسه من أشياء كما منع التعيير باللون والنسب وفي هذا روى البخاري :(أن ّ أبا ذر تغاضب مع بلال الحبشي وتسابا فقال له أبا ذر :يا بن السوداء فشكاه بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر أعيرته بأمه ؟إنك أمرؤ فيك جاهلية)[28].

كما منع الإسلام الاستهزاء والسخرية من الآخرين إذ قال تعالى :(**ياأيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**) [29].

وهناك جانب آخر من جوانب حفظ المقومات المعنوية للشخصية الإنسانية ويتعلق بحفظ كرامة الإنسان وذلك من خلال تقرير الحقوق الاقتصادية التي لا غنى عنها لكرامة الإنسان ولنمو شخصيته نموا حرا من ذلك ضمان مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على حاجاته الأساسية ولمن يعولهم وهو واجب الدولة إزاء موظفيها وعمالها ففي الحديث الذي رواه أحمد:(من ولى لنا

عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا،أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادما فليتخذ خادما، أو ليس له دابة فليتخذ دابة، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال)[30] ومعنى ذلك تقدير كفاية هذه الاحتياجات في الرواتب عند تحديدها ويتعلق بذلك فرض الإسلام في مصارف الزكاة لمن كان معاشه دون المستوى اللائق ولو كان له مورد مادام لا يكفي لتحقيق الحد الأدنى للمعيشة الواجب التحقيق .

- **الجمع بين الثبات والتغير:**

باعتبار أن مصالح العباد هي أساس التشريع الإسلامي والتيسير غرضه تعتبر هذه الخاصية جوهر المنهج الإسلامي فهو عند خدمته للإنسان يتسم بالمرونة من خلال مراعاته للظروف البيئية وتغير الزمان وطبائع البشر وهذا ما جعل الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان.

- ومن الأمور التي سبق ذكرها والتي تثبت هذا المنهج وتجعله فريدا في تعامله مع الفرد كفرد في المجتمع ومع المجتمع كجهة مسؤولة عن هذا الفرد نجد قضية الحبل الوثيق الذي يربط الفرد كفرد مؤمن بربه ألا وهي العقيدة هذه الصلة وهذا الإيمان الوثيق الذي يمنعه من الانزلاق في مقبات الكآبة والشعور بالعجز والوحدة والإتكالية والملل والعدوانية فجوهر المنهج الإسلامي هذه العقيدة التي تجعل من الفرد فردا واثقا بنفسه قادرا على إعانتها وعلى التعامل مع الأمور ومع غيره بإيجابية كما تجعل من المجتمع جسدا واحدا حينما يسعى إلى رعاية هذا الفرد فإنما من باب تحقيق العبودية لله والمسؤولية التي تفرضها عليه عقيدته وليثبت إتباعه لملة نبيه عليه الصلاة والسلام بالإضافة إلى الجزاء الذي أعده الله لهم والذي يعتبر من أكبر المحفزات .

الخاتمـــة:

وأخيرا وبناء على ما تقدم ذكره نجد أن الإسلام وحده هو المنهج القادر على رعاية الفرد وإشباع حاجاته وحل مشاكله بل وتحقيق التوازن والانسجام

والتكيف الاجتماعي له مع نفسه ومجتمعه ولما لا يكون كذلك وهو حكم الله :(...**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**)[31] وقوله تعالى:(**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**)[32] فالإسلام مفهوم شامل للحياة البشرية في كل اتجاهاتها بل هو في الحقيقة مفهوم شامل للكون والحياة والإنسان وهو مفهوم شامل ودستور يحكم الحياة وينظمها ويوجه الأفكار والمشاعر والشعائر ويضبط السلوك العملي في واقع الحياة [33] يقول الله تعالى:(... **مّا فرّطنا في الكتاب من شيء...**) [34] فمنهجه في رعاية الإنسان هو الذي جعل منه بحق دين الرعاية الاجتماعية .

❖ هوامش البحث

(1) سورة:النحل، الاية.89.

(2) سورة :الاسراء،الاية.70.

(3) محمد البهي:الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر "مشكلات الأسرة والتكافل"، دار الفكر، مصر، 1969، ط2.ص.368.

(4) سورة :البقرة، الآية.265.

(5) سورة: فاطر، الآية.18.

(6) سورة :الطور، الآية.21.

(7) سورة :التوبة، الآية.71.

(8) سورة :النور، الآية.62.

(9) أنور الجندي: **الإسلام والعالم المعاصر "بحث تاريخي حضاري"**، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص ص317-320.

(10) سورة :الرعد، الآية.11.

(11) يوسف القرضاوي: **الإسلم كما نؤمن به "ضوابط وملامح"**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 1999"، ص ص38,37 .

(12) النووي:**رياض الصالحين، باب الصبر**، مكتبة النهضة الجزائرية، لجزائر، 1979، ص22.

(13) سورة:التوبة، الآية.51.

(14) زيدان عبد الباقي :**علم الاجتماع الإسلامي**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1984، ص ص53-51.

(15) سورة:الرحمن، الآية.9.

(16) أنور الجندي: **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**, ط3، دار الكتب، الجزائر، د ت، ص187.

(17) سورة:المائدة, الآية.2.

(18) مسلم بن الحجاج النيسبوري:**صحيح مسلم**، المجلد الثامن، الجزء16، ط2، كتاب البر والصلة والآداب، دار الفكر، بيروت، 1982، ص ص135-120.

(19) المرجع السابق، ص ص131-132.

(20) زيدان عبد الباقي :مرجع سبق ذكره، ص ص119,118.

(21) السيد محمد نوح: **شخصية المسلم بين الفردية والجماعية**، ط4، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع, المنصورة, 1993, .ص.37,36.نقلا عن محمد قطب :**منهج التربية الإسلامية**، ج1، ط5، دار الشروق، القاهرة، 1981، ص ص163,162.

(22) يوسف القرضاوي: **الاسلام كما نؤمن به**، مرجع سبق ذكره, ص.61-62.

(23) سورة:النساء، الآية28.

(24) سورة:الأنفال،الآية.66.

(25) سورة:ص، الآية.71-72.

(26) محمد التومي:**نحو بسيكولوجية اسلامية**، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر , دت.ص.22-24.

(27) سورة:القصص، الآية.77.

(28) ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج1، كتاب الإيمان، دت.ص106.

(29) سورة:الحجرات، الاية.11.

(30) أحمد بن حنبل:**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مجلد5، د ت.ص ص 270-271.

(31) سورة:المائدة، الآية50.

(32) سورة:البقرة، الآية.138.

(33) محمد عبد الخطيب: **خصائص المجتمع الإسلامي**، دار الصديقية، الجزائر، 1986، ص.175.

(34) سورة:الأنعام، الآية.38.